Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (3) Issue (1) May(2024)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://www.iasj.net/iasj/journal/419/issues
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها كلية الفارابي الجامعة

رواية ساعة بغداد : دراسة تحليلية

د. دنيا فهيم عواد محمد

جامعة النهرين / مركز التعليم المستمر

dr.dunia.fahim@nahrainuniv.edu.iq

An Analytical study of The Baghdad clock

الملخص:

يدرس البحث رواية (ساعة بغداد) للكاتبة (شهد الراوي) ، دراسة تحليلية تعتمد على بيان الأدوات الروائية التي اعتمدتها الكاتبة في روايتها ، فتناول البحث دراسة الشخصيات والأمكنة والأزمنة والأحداث والحبكة والعقدة وأسلوب الكاتبة دراسة تعتمد المنهج التحليلي وتحاول بيان مدى الترابط والتلاحم بين هذه الأدوات، وكيفية تحركها داخل الفضاء الروائي لتخرج لنا هذه الرواية التي نافست على عدة جوائز وترجمت لعدة لغات واشتهرت بين أوساط الشباب والنقاد والدارسين .**الكلمات المفتاحية :** رواية ، شخصية ،خيال، أحداث ، زمان ، مكان ،حبكة ، عقدة .

ABSTRACT:

The research studies the novel (Baghdad Hour) by the writer (Shahd Al-Rawi), an analytical study based on the statement of the narrative tools adopted by the writer in her novel, so the research addressed the study of the characters, places, times, events, plot, knots and the author's style, a study that adopts the analytical method and tries to show the extent of the interconnection and cohesion between these tools, and how they move within the narrative space to bring us this novel that competed for several awards and was translated into several languages and famous among youth, critics and scholars. Keywords : Novel, character, fiction, events, time, place, plot, knot.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين ، وبعد: فلا يخفى ما كسبته رواية ساعة بغداد من شهرة تدعو لدراستها والوقوف على مكنوناتها، لذا وقع الاختيار عليها لتكون موضوعا لدراسة تحليلية تحاول الولوج في أدواتها ، وإبراز دور الكاتبة، ومحاولة تفسير العناصر الغريبة التي اعتمدتها الرواية داخل صفاحتها.

قسم البحث اعتمادا على عناصر الرواية، فشمل دراسة:

- العنوان.
- الشخصيات.
- الزمان.
- المكان.
- الأحداث.
- الحبكة.
- العقدة.
- النهاية.
- اللغة والأسلوب. وحاولنا التركيز على أبرز ما جاء في الرواية، مما له أثر مباشر على سير الأحداث ، فقد نترك بعض الشخصيات وغيرها من عناصر الرواية ، تجنبا للإطالة أولا ، ولقلة دورها في الرواية أو كون غيرها مما ذكرنا يكفي لتوضيح الفكرة ثانياً.وختاما أرجو أن يكون ما قدمت في دراستي قادرا على ابراز الأدوات الروائية التي اعتمدتها الكاتبة بطريقة تساهم في إيضاح الفكرة دون المساس بخصوصيات الرواية.

تمهيد

تصنف الرواية ضمن الروايات الواقعية، إذ تقص علينا أحداثا حدثت في واقعنا العراقي لمدة زمنية محددة، مدة حددتها الرواية بدقة منذ صفحاتها الاولى ثم سارت بقية الصفحات متسلسلة مع الزمن حتى نهاية الرواية .فالرواية ترصد جوانب الحياة المعاشة في بغداد في تلك المدة الزمنية، وما عاناه أهلها من حروب وقصف وملاجئ وطائرات واعتقال وهجرة وغيرها، إذ عاصرت الرواية حروباً مرت على العراق تخللها حصار مدمر.كل تلك الأحداث تجري من خلال سرد تذكري تعتمد فيه الكاتبة على بطلتين تتقلانهافالرواية تبدأ بحديث بين طفلتين داخل الملجأ بلغة مفعمة بالطفولة وأحداثها ثم تتقدم الأحداث كلما تقدمتا بالعمر.

العنوان (ساعة بغداد) إن أول ما يواجه القارئ هو العنوان ولا يخفى على أحدٍ ماله من دور كبير على النص الأدبي إذ "يمثل العنوان العبارة المفتاحية للنص، مهما كان النوع الأدبي، سواء كان قصة أو شعراً أو رواية أو مقالة، فالعنوان هو أول ما يفاجئ القارئ، وعليه فإما أن يجذب القارئ أو يبعده، أو يبقيه على الحياد مع نص قد يكون غنياً أو عادياً، فضلا لما في العنوان من دلالات معرفية ذات أبعاد مختلفة الأطياف، تكشف عن ثقافة صاحب النص، وغوصه في المكنون الفكري الذي يستلهمه أو يعيشه أو ينتظره، من الماضي والمعاش إلى الحالة المستقبلية، لذا أولى النقاد مسألة العنوان أهمية كبرى، وكانت له مكانته في الدراسات النقدية النصية"١.والعنوان قادر على قراءة شفرات النص، بل هو مجموعة من الفجوات التي ستملأ من خلال مخيلة القارئ ابتداء ومن ثم قراءة صفحات الرواية ثانيًا. (ساعة بغداد) هذا العنوان جاء مناسبا وأحداث الرواية فلو أردنا تحليل العنوان سنقول إن الساعة ترمز لمدة زمنية أرادتها الكاتبة وهذا ما يبدو واضحا ومترابطا داخل صفحات روايتنا فالزمن محدد بدقة –كما سنبين ذلك– لذلك ذكْر الساعة يفي بهذه المدة الزمنية، وأمّا بغداد فالرواية –وكما سنعرف من خلال دراستنا للمكان والاحداث – تصور أحداثًا واقعية عاناها العراق من خلال الحروب وما يتصل بها، فاعتمدت الكاتبة (بغداد) لتبين منذ البداية أن أحداثها وما ترويه في هذا المكان.

وإن نظرنا إلى العنوان متكاملا (ساعة بغداد) فلا يخفى على أحد عاش في بغداد هذا المعلم، وبالتالي حددت المكان منذ العنوان.ومما خلق ترابطا بين العنوان وباقي صفحات الرواية أنها كررت لفظة الساعة وبغداد منفصلة أو متصلة على امتداد الرواية وهذا من شأنه الحفاظ على تسلسل الأحداث داخلها.

شخصيات الرواية الشخصية هي محور الرواية وحولها تدور الأحداث، فلا حدث بلا مسبب. فالشخصيات هي التي تحرك الأحداث وتطورها، ولها القدرة على تقمص الأدوار المختلفة التي يحمّلها إيّاها الكاتب، إذ من خلالها نعرف مكنونات النفس وإظهار أي عيب يعيشه أفراد المجتمع فالشخصية كائن ورقي يتألف من الجمل التي تصفه أو التي وضعها المؤلف على لسانه لها٢ والكاتبة في بداية روايتها تعرفنا مباشرة على مجموعة من الشخصيات التي تسكن معها داخل المحلة وكأنها تريد منا مباشرة إيجاد صورة متكاملة عن المكان الذي تسكنه، أمّا بقية الشخصيات والتي غالبا ما تكون من خارج المحلة فلا تفصح عنها الرواية مباشرة وإنما تظهر من خلال الاستمرار في قراءة الرواية ومما يمكن الانتباه إليه أن الشخصيات في الرواية من النوع النامي إذ نبدأ بالتعرف على أسمائها وصفاتها أو أشكالها وأدوارها من خلال الاستمرار بالقراءة فالكاتبة لا تفصح مباشرة عنها وإنما تترك لنا المجال وحتى الصفحات الأخيرة للتعرف على الشخصيات وسنقسم الشخصيات في الرواية على أربعة أنواع:

أولا– الرئيسة وهي كما يصفها كثير من الدارسين بطل الرواية، وفي الغالب هي الشخصية التي يركز عليها الكاتب وتجذب القارئ إليها منذ بداية الرواية وتتحرك بين صفحات الرواية وتتطور وحولها تدور الحبكة والعقدة وتكون مساهمة بشكل واضح في تصاعد الأحداث وصولا إلى الحلول".فهي تستحوذ على اهتمام القاص، وتمثل المكانة الرئيسية في القصة وقد تكون سلبية أو إيجابية متذبذبة بين هذه القصة وتلك، وقد تكون محبوبة أو منبوذة من طرف القارئ، المهم أنّها تمثل المحور الرئيسي في القصة والقطب الذي يجذب إليه كل العناصر الاخرى، ويؤثر فيها"٣.

ومن الشخصيات الرئيسة في الرواية:**الساردة:** وهي الشخصية الاولى في الرواية وأخذت على عاتقها التعريف بكل جوانب الرواية من الشخصيات والأمكنة والأزمنة .وهي شخصية نامية تبدأ معنا منذ طفولتها ولا تعلن عن اسمها " تقدمتُ منه خطوات وهمستُ باسمي في أذنه، طلب مني أن أكرره عليه وكررته"٤. ومن خلال التركيز على الأزمنة من الممكن أن نخمن عمرها، فتقول " في الصف الرابع الابتدائي صرت طويلة"٥ لتعلن بعدها أنها الآن في سنة ١٩٩٤" هل تذكرونها؟ انا أتذكرها، أنا لا أعرف كم هو عمركم الان ولكن إذا كنتم في بغداد عام ١٩٩٤ ستتذكرونها، كل من كان في بغداد عام ١٩٩٤ سيتذكرها"٦؛ فيبدو أن عمرها في هذه السنة كان عشر سنوات. وسرنا معها مراحل حياتها حتى تخرجت من الثانوية وقُبِلت في الجامعة التكنولوجية، أحبت فاروق إلّا أنها تزوجت غيره وعاشت بعيدا عن بغداد . والرواية تعتمد على هذه الشخصية بصورة كبيرة إذا تطغى على بقية شخصيات الرواية ، وما أحداث الرواية إلّا أفكار ناتجة عن مخيلتها ،إذ اعتمدتها الكاتبة لتصور ما كان عليه وضع بغداد في تلك الفترة ،فهي شخصية لها معرفة بكل أماكن بغداد المشهورة وكل شخصياتها سواء المحلية التي تعيش معها أو الشخصيات التاريخية

التي لها علاقة ببغداد ، ومن خلال مخيلتها من الممكن أن نفهم المخاوف التي كان الناس يعانون منها ، إذ يبدو أن هذه الشخصية هي مركز لتجمع الأفكار والأحاديث التي كانت تدور في زمن معين لتصل في النهاية إلى البوح والتفسير لتكون فعلا كما وصفتها الرواية "ان ابنتك ستحمل معها المحلة أينما ذهبت وتحميها من النسيان"٧.**نادية** : شخصية لطيفة محبوبة جميلة بعينين خضراوين، وبعمر الساردة نفسها بل وفي نفس اليوم كما تعلن الرواية "ولدت مروة في اليوم الأول من شهر شباط ، وهو اليوم نفسه الذي ولد فيه فاروق ايضا، والذي ولدت فيه أنت ونادية ، وهذا اليوم بالمناسبة هو يوم ولادة عظيم شهدت فيه المحلة استقبال الجيل الثاني من ابنائها"٨ . سارت جنبا إلى جنب مع البطلة وفي غالب صفحات الرواية إن لم تكن كلها، صديقتها المقربة، ولشدة العلاقة بينهما كانت أحلام نادية مكشوفة أمام شخصية الساردة فمنذ الصفحة الأولى دخلت إلى حلمها، وهذا يرمز إلى قوة العلاقة وأن لا اسرار بينهما ويمكن أن نستدل على ذلك من خلال ما أفصحت عنه الكاتبة بعد دخول نادية بعلاقة حب مع أحمد، تقول: "صارت أسرار نادية تخصها وحدها، هي الآن تؤسس عالمها الشخصي بعيدا مني"٩ أحبت أحمد إلا أنه تزوج غيرها، وبعد معناة الفراق " تقدم لطلب يدها شاب وسيم، يعمل مهندساً مدنيا في شركة معروفة في مدينة دبي ، وافقت على الزواج وسافرت معه ..عاشت معه أياما جميلة ، تزيدها حلاوة ابنة حلوة سمتها بيداء وفاء لذكرى صديقتها"١٠.**عمو شوكت** : شخصية محبوبة من جميع أبناء المحلة ولا سيما الأطفال، ظهر في صفحات الرواية الأولى في الملجأ يلاعب الأطفال هو وزوجته باجي نادرة.وهذه الشخصية من الشخصيات النامية، تتضح ملامحها شيئا فشيئا فهو: رجل وزوجته لم ينجبا أطفالا، يعمل في مبنى البنك المركزي، يقول: " دخلت مبنى البنك المركزي موظفا شابا ببدلة جديدة اشتراها أبي من شارع الرشيد، اشترى لي ربطة عنق داكنة وحذاء أسود من محال باتا"١١ تتركه زوجته وحيدا دون معرفة السبب، لعلها أوضاع البلد فهي من أكراد العراق، ولعل الكاتبة أرادت أن تبين لنا بداية تفكك المجتمع العراقي تبعًا للطوائف والقوميات، ولا نعرف كيف تعرفا على بعضهما إلّا بعد منتصف الرواية "أحببت نادرة ورفضني أهلها في البداية، لكنها تزوجتني ولم تستمع إلى نصائحهم"١٢ . تخلى عن أناقته " تهدلت بذلته الرسمية في هذه الأيام ، تنازل عن ربطة عنقه وأصبح حذاؤه في حاجة إلى تبديل ، لم يعد فيه مكان لرقعة جديدة، استبدله بحذاء قديم وجده في مخزن المهملات تحت سلم البيت ، طالت لحيته وصارت بيضاء مبقعة بالسواد الكئيب ، صار كثير الشبه بمحلتنا"١٣ أخذ على عاتقه الاهتمام ببيوت المحلة التي تركها أهلها وهاجروا، حتى فقد بريقه ونطقه وصحته، لتأتي زوجته في النهاية وتأخذه إلى شمال العراق ويبدو لي أن هذه الشخصية أرادتها الكاتبة لتمثل بغداد قبل الأحداث؛ بغداد التي تزهو وتتأنق وتجمع مختلف الطوائف، وتراجع صحته واختفاء أناقته وترك زوجته كلها لعلها إشارات لما حل ببغداد بعد الحروب والحصار.

ثانياً – الثانوية وهي الشخصيات التي تساهم في ربط أحداث الرواية وتسييرها وتعمل على ملء الفجوات داخل القصة بما يخدم الحبكة ويساعد الشخصيات الرئيسة في أداء دورها، فهي تمنح البطل القدرة على معرفة بعض الأسرار أو إيجاد حل لمشكلة أو استعمالهم لإيصال صورة ما؛ إذن للشخصيات الثانوية دور مؤثر في الرواية إلّا أنّه أقل من دور الشخصيات الرئيسة وروايتنا تعتمد كثيرًا على الشخصيات الثانوية حتى أن بعضها تجعلنا نتردد في وضعها بين الرئيسة والثانوية، إلّا أن الفاصل في ذلك داخل صفحات الرواية ان الشخصيات الرئيسة تتحدث عن نفسها وغيرها وما يحيط بها، وتخدم الغرض من الرواية وهو الحرب وما فيهاأما الثانوية فقصتها داخل الرواية تكون شخصية فقط وإن كان في بعض الأحيان إشارة لما يدور في البلد لكن الغالب على قصصها أنها شخصية بحتة . فمثلا بعض شخصيات المحلة لم يكن لهم دور في الرواية كنزار وعائلته، بيت ام علي بيت ام سالي بيت ام ريتا وعائلة الساردة نفسها وغيرها، وإن أخبرتنا الرواية بعضا من صفاتهم وما مروا به من أحداث إلا أن الرواية لم تظهر جوانب شخصية مجرد صفات عابرة، وبعض الشخصيات كشروق وقصة خطوبتها وخوفها من تنبؤات المشعوذ ، وقصة ميادة وشقيقها حسام الذي قتلها لأنها أحبت ،وقصة بيداء التي شاركت في كتابة (سجل المحلة)، وان ركزت الرواية نوعا ما عليها واخبرتنا قصتها بدقة إلا أنها لا تمثل شخصيات مصيرية داخل أحداث الرواية فدورها يتمثل في ربط الأحداث وإثراء الصور وهناك بعض الشخصيات السطحية لا نعرف عنها أي معلومات ولا يتكرر ظهورها في الرواية ومنها:

–جدة الساردة.

–المعلمة : قلت للمعلمة هارون الرشيد جدي ، قالت المعلمة : اعرف ذلك أنه يشبهك.١٤

–ست نجاح وزوجها.

–الجندي" رأيت جنديا يحمل بندقية ويحرس المكان لكنه كان ينظر في الجهة الأخرى ولم يرني".١٥

–الأولاد: " يتسلق الأولاد سياج البيت ...يطلق أحدهم تعليقا وقحا بصوت عال"١٦.

–شمس: "طرقت باب الصف علينا طالبة من شعبة أخرى ،طالبة اسمها شمس كما أتذكرها".١٧

-الرجل المسن الذي توقف أمام الباص " ادهسني وخلصني من هذه الحياة، لا أريد بعد هذا اليوم أن أعيش في هذا الزمن الحقير ، أريد أن أموت... لكنه بعد قليل انتبه إلى حاله وشعر بالخجل من نفسه ، استجاب للسائق وسحب عربته إلى الرصيف وجلس يبكي بمرارة"١٨

-المرأة التي انتحرت "شاهدت بنفسي امرأة تنتحر وهي ترمي نفسها في نهر دجلة من على الجسر"

-المعلمات داخل المدرسة المعاونة ست اثمار والمديرة.

كل هذه الشخصيات وإن لم نعرف عنها شيئا بل حتى أن أسماء بعضها مجهولة إلّا أنها ساهمت في إيجاد صور رائعة أغنت صفحات الرواية وفي الغالب تعتمدها الكاتبة كرموز للإشارة إلى شيء ما؛ فمثلا سعي الناس إلى الانتحار أو البحث عن الموت لا يدل إلا على وضع أمني واقتصادي متردي يعيشونه، وبالتالي هذه الصور انعكاس للوضع العام للبلد.

ثالثاً- الشخصيات المشهورة:

وردت في الرواية أسماء لشخصيات مشهورة معظمها عراقية أو ترتبط بالعراق، وكأن الكاتبة أرادت أن تثبت مكان الأحداث من خلال ذكر هذه الشخصيات وحاولت أن تثبت زمان الأحداث من خلال ذكر شخصيات عاشت في هذه المدة، ومن هذه الشخصيات:

-هارون الرشيد.

-المأمون

-السندباد.

-جورج غالاوي النائب البريطاني.

-مارادونا.

-آلهة عشتار وأنانا وأدونيس وفينوس وأفروديت وكيوبيد.

-حاتم العراقي، هيثم يوسف، ومهند محسن، ورائد جورج وإسماعيل الفروجي.

-بوش الأب وبوش الابن

-نبوخذ نصر

-سمير اميس.

-كسرى.

-شارلمان.

-ابن جبير.

-الطبري.

رابعاً – الشخصيات الخيالية:يبدو عنصر الخيال واضحا في الرواية سواء في أحداثها أو شخصياتها فمثلا تتحدث الكاتبة عن تصديق الناس أنهم على ظهر سفينة غاطسة في البحر:" لكن اشياء غريبة صارت تحدث من دون أن نعرف كيف صارت تحدث وخصوصا في هذه الأيام ،ففي بيت أبي مناف حدث ثقب صغير تحت البلاط وأخذت تتسرب منه المياه المالحة ...وخرجت منه بعض الأسماك المضيئة ،وقالت ام مروة أن بيتها يتأرجح في الليل كما لو أنه قارب صغير...وقالت أم نوار أنها شاهدت حيتانا صغيرة تظهر في مطبخها بسرعة ثم تتبخر في الهواء ،وانا أيضا شاهدت اشياء غريبة لكنني لا استطيع ان اقولها"١٩ والكاتبة هنا تشير إلى مخاوف الناس بسبب أوضاع الحرب والحصار والهجرة وهذه المخاوف تدفعهم إلى إيجاد الحجج للخروج والهجرة هربا من الأوضاع لذا حاولت الكاتبة أن تأتي بهذه الخيالات البعيدة وإن لم يقلها الناس حقيقة؛ لتصور لنا مدى كمية الاشاعات والمخاوف التي سيطرت على الناس في تلك الأيام، وقد احسنت باختيار عنصر الخيال البعيد في إبراز الغرض وتتعدد الشخصيات الخيالية في الرواية منها:**المشعوذ** : وهو أبرز الشخصيات الخيالية في الرواية وتدور حوله أحداث متنوعة يظهر فجأة وتصفه بدقة في كل مرة يظهر فكأن الرواية تريد من القارئ أن يقف طويلا عند هذه الشخصية فأول ظهور له وصفته بقولها: "مر في شارعنا رجل نحيف طويل القامة، بلحية مشذبة جيدا وبهندام حسن، يرتدي بذلة رسمية من ثلاث قطع ، تتدلى من جيب سترته سلسلة ترتبط بساعة قديمة يضعها في الجيب الصغير إلى جهة اليسار، قال لنا أنه يقرأ الطالع ..."٢٠،هذه الصفات نراها تتغير في كل مرة يظهر فيها فعندما تراه شروق يكون بغير هيئته " ظهر أمامها المشعوذ وهو يرتدي ملابس سائق حافلة..."٢١ وفي مشهد أخر "ظهر المشعوذ في الشارع ثانية ، وقد تخلص من لحيته تماما ، ووضع على عينيه نظارة سوداء غامقة ، من تلك التي يستخدمها مكفوفو البصر في العادة ، كما أضاف إلى مظهره أشياء جديدة ، من

بينها أنه يحمل عصا طويلة لا يتوكأ عليها بل يحركها في الفراغ ، ويضع تحت ابطه كتابًا قديما بغلاف مهترئ ،يمشي بخطوات واثقة وهو يصفر لحن اغنية (غريبة الروح)٢٢. بل إن شروق تخيلته الطبيب الذي جاء ليعالجها ،وأخيرا يظهر بصورة مخيفة نوعا ما وهو في الملجأ "كان أحدهم ينام فيه، من دون أن يصدر منه صوت أنفاس أو حركة دقات قلب، أحد ما يرقد هنا من دون شهيق أو زفير لكنه بقي ساكنا في مكانه مثل جثة هامدة...ورفع الغطاء وهو يضحك بصوت عال"٢٣،وتغير صفات الشخصية طبيعي ،إذ هي شخصية خيالية نبعت من مخيلة الكاتبة ،ويبدو لي أن هذه الشخصية نتجت عن مجموعة من الأحاديث التي كانت تقال داخل المحلة والتي اختزنت في ذاكرة الكاتبة وكل هذه الأحاديث أو معظمها كانت حول المستقبل المخيف بالنسبة لأبناء المحلة فكل شخصية من الشخصيات لها مخاوفها من المستقبل فشروق مثلا تخاف على خليل لشدة حبها له ،وبيت ام مصطفى وغيرهم من العوائل كانوا يتحدثون بالهجرة وغيرها من الأحداث التي أخبرهم بها المشعوذ، إذن يمكن القول إن شخصية المشعوذ تمثل المستقبل المخيف ، وهذا المستقبل تجمّع من مخاوف عديدة ووقائع مشاهدة تضافرت كلها لتخرج على شكل مشعوذ يحذر الناس مما يصيبهم ففي قوله : " وليس لأي منكن مستقبل في هذا المكان إطلاقاً" ويكرر هذا القول ، وهذا القول فعلا كرر في العراق في تلك المدة الزمنية بسبب الأوضاع السيئة من حصار وتهديد بالحرب لكن الكاتبة صرحت به على شكل خوف من القادم وعلى لسان مشعوذ ما هو الا المستقبل نفسه وكذلك الحال في قوله: "إن هذا الحصار طويل ولن ينتهي قريبا، وعندما تأتي نهايته، ستبدأ الحرب وبعدها سيتلاشى كل شيء في النسيان. سينكر الجار جاره، والصديق صديقه، والأخ أخاه، سترمي جثث الناس في الليل للكلاب، وستختنق الأرصفة بالموت، ويدخل الرعب إلى بيوتكم من الشبابيك..."٢٤**المشعوذة الصبية** : وضحت الراوية منذ بداية حديثها عنها أنّها تتخيلها ،لكن أسلوب الكاتبة جعلها تبدو كشخصية حقيقية تُسأل وتجيب عما تسأل ،حتى أننا وفي خضم قراءتنا ننسى أنها شخصية لا وجود لها " طلبت مني المشعوذة قليلا من الماء، دخلت إلى البيت لكي أحمل لها أناء كبيرًا وضعت فيه قليلًا من الثلج ،حتى لا تعود وتتطلب مني ذلك..."٢٥"تأملت كلماتها وقلت في نفسي... هذه المشعوذة شيطانة ، تقول كلاما جيدا لكنه ليس بالضرورة صحيحاً"٢٦ هذه الشخصية ماهي إلّا افكار الكاتبة وما يدور في ذهنها من أسئلة أرادات أن تطرحها بأسلوب يشوق القارئ حتى أنه ليظن أن الإجابات فعلا من قول المشعوذة لا أفكار الشخصية وهذه المشعوذة ستظهر في العالم الآخر عالم الأموات الذي صورته الرواية نستدل أنها هي من خلال سوار فضي نقش عليه اسم شخصية البطلة طلبته المشعوذة منها عندما زارتها.

ويبدو أن الكاتبة أرادت أن تبين من خلال هذه الشخصية أن حياتنا هي ما نتخيلها أو ما تصنعها المخيلة، لذلك نرى أن الخيال تحول إلى ما يشبه الحقيقة في هذه الزاوية من الرواية.**القبطان** : شخصية خيالية صنعتها افكار الكاتبة فبعد أن تخيلت أن الجميع فوق ظهر سفينة وجدت نفسها داخل السفينة تتحدث لشخص مجهول هو قبطان السفينة ليعرف عن نفسه:" أنا سائق السفينة التي لا تتحرك مهمتي الوحيدة هي أن أجعلها لا تتحرك ويصف نفسه بأنه مجرد فكرة:" اسمعي يا عزيزتي، السفينة فكرة في رأسك وأنا فكرة في رأس السفينة، الأفكار الصغيرة غالبا ما تكون لها أجنحة خفيفة وعندما تفقد جدواها على الأرض تطير في الفضاء"٢٧. وهذه الشخصية كانت نتاج ما يحدث في أرض الواقع فمعظم العوائل تركوا بيوتهم وسافروا وكأنهم لا ينتمون إلى هذه البقعة من الأرض فكان التشبيه الأمثل لهذه الأرض بأنها مجرد سفينة تقلهم والمعروف أن الناس لا ينتمون للسفن فتركهم لهذه الأرض هو ما جعل الكاتبة تصفها بأنها سفينة، ويؤكد ذلك أن أرض جدتها "هذه البقعة الرحيمة من الأرض ليس سفينة راسية في انتظار إشارة الانطلاق، هذه أرض حقيقية ملتصقة بذاكرتها.. "٢٨. فجدتها لم تغادر ولا تنوي مغادرة هذه الأرض. وخيال الكاتبة تداخل حتى ظنت في النهاية أن شخصية القبطان وشخصية المشعوذ واحدة "هل كان هو نفسه القبطان"٢٩ فكلتا الشخصيتان ماهي الا أفكار تخيلتها الراوية فمن الطبيعي أن تحمل نفس الصفات ونفس الأفكار ويبدو أن الكاتبة حاولت أن تتذكر بعض الشخصيات الخيالية المعروفة بالقصص القديمة وتمزجها مع شخصيات روايتها، فاختارت عدد منها كالسندباد وقصة مامند وحبيبته وجوانا وحبيبها ماندو. ودورها هنا كدور الشخصيات الثانوية تأتي لإثراء الصور.

المكان هو الفضاء الذي تجري فيه أحداث الرواية ، ولا يمكن النظر للمكان بمعزل عن بقية عناصر الرواية ، فمن خلاله نفهم حركة الأشخاص وتنقلاتهم ، كما أنه يضفي على الرواية طابعا أكثر واقعية ويجذب القارئ لتخيل الصورة بكل أبعادها ولاسيما إذا كان القارئ أو المتلقي شاهد أو سمع عن هذا المكان "لأن إدراك الإنسان للمكان مباشر وحسي، وصراعه معه ما هو إلا تأكيد لذاته، وتأصيل لهويته فبقدر إحساس الإنسان بالمكان تكمن أهميته ووجوده ... لأن وجوده في المكان يستمر معه طوال عمره، فلا تكسب الذات أهميتها إلّا من خلال تفاعلها مع المكان الموجود فيه "٣٠ إذن، المكان يتفاعل ويؤثر بشدة على مجرى الرواية، والمكان في روايتنا يبرز منذ العنوان ويحدد بدقة، فالأحداث ستجري في بغداد هذا ما أبلغنا به العنوان مباشرة وتكرره الرواية في صفحاتها ومن ثم يتم التأكيد عليه من خلال إبراز المناطق المشهورة في بغداد (ساعة بغداد، الزوراء شارع الرشيد، المنصور، مرطبات الرواد برج المأمون، جامعة بغداد، الجامعة التكنولوجية، جسر الجمهورية، الكرخ، الرصافة،

كورنيش الأعظمية، الجادرية)ومما يمكن ملاحظته أن الرواية تحاول أن تطنب في وصف المكان المحبب للساردة على عكس الأماكن التي تُذكّرها بأيام الحرب، فتصف لنا بيت جدتها " بيت جدتي واسع تحيط به أشجار عالية تجري بينها سواق صغيرة تتقافز فيها ضفادع خضر. في البركة التي وراء السياج تسبح بطتان بيضاوان يتبعهما صغارهما الأربعة أو الخمسة ..."٣١. ولأنها أحبت عمو شوكت وزوجته لاهتمامهما بها فهي تحب بيتهم بكل تفاصيله فتصفه بدقة "لبيتهما سياج واطئ تتسلق عليه أشجار الياس وتعلوه أغصان الشبوي لتحجب الحديقة الأمامية عن التداخل مع الشارع. ينفتح الباب الرئيسي على كراج سيارته الفولكس واغن الصفراء اللون. عند نهاية الكراج، فسحة مبلطة بالموزاييك ومفتوحة على الممر الجانبي وعلى الحديقة في الوقت نفسه. لهذا البيت وحده رائحة ذكرى مختلفة، فهو أول بيت يأتي في خيالي عندما أحاول أن أتذكر المحلة"٣٢.

وتتعمد اختصار الوصف عند حديثها عن الملجأ فعلى الرغم من تكرار هذه الكلمة (الملجأ) إلى أنها لم تصفه بدقة ولعلها لا تريد تذكر أيام الخوف، فتصفه بأنه " يشبه حوتًا كونكريتيا كبيرًا" وبعد سنين عندما جاءت الحرب الأخيرة عاد الملجأ إلى الظهور في صفحات الرواية وكذلك لم تطل في وصفه فهو مكان موحش على حد تعبيرها فتصفه بصورة موجزة سريعة" كانت البناية الكونكريتية مسوّرة بالأسلاك الشائكة، يعلوها غبار اثنتي عشرة سنة من الإهمال"٣٣ ويبدو أن الكاتبة أرادت أن تعكس أوضاع الحرب والحصار على شكل المكان وهذا يعطي بعدًا واقعيًا اخر "اختفى منظر الحدائق الجميلة من أمام البيوت تدريجيًا، وحلّت محلها المشتملات التي تبنى عليها ملحقات إضافية لسكن الأولاد المتزوجين حديثًا، أو ملحقات صغيرة بأبواب جانبية، يعرضونها للإيجار من أجل أن تساعدهم على توفير موارد دخل إضافية، بعد أن أصبحت الرواتب بلا قيمة"٣٤.

"شيئا فشيئا أصبحت أبواب البيوت صدئة، وتلونت الشبابيك بألوان قاحلة، ارتفعت الأسيجة الخارجية، والأسيجة التي تفصل بين الجيران، أضيفت الأقفال والكتائب الحديدية، صارت الحياة تنسحب إلى داخل الغرف البعيدة ، فقدت بيوتنا الثقة في الانكشاف على ما وراء جدرانها ، بعد أن ازداد عدد الوجوه الغريبة في المكان"٣٥ وبدأت تظهر أسماء دول ومدن خارج العراق كالأردن، دمشق، دبي ،وغيرها وهذا كله يتناسب ووضع الحرب وما تفرضه من هجرة ونلحظ أن الرواية أطالت من وصف المكان في العالم الآخر، وربما يعود ذلك إلى محاولتها إثبات صحة خيالاتها أمام المتلقي، فالعالم الواقعي معروف لدى القارئ على عكس العوالم المتخيلة فيتطلب ذلك وقفات وتوضيحات لتُقْنع المقابل بالأفكار الغريبة، فتصف المدينة والكوخ والغرف والملابس والفراش، والإضاءة والطعام والشراب وغيرها الكثير٣٦.

الزمان: يعمل الزمان على تأكيد الحدث وتثبيته، بما يمنحه من مصداقية لما يقال، والزمن يخضع لفكر الكاتب فهو يتجاذبه ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا بما يخدم أغراضه داخل الرواية وروايتنا تجبرنا أن نراها حقيقة واقعة بالرغم من كل أصناف الخيال الداخلة في أحداثها وذلك بسبب تركيزها الكبير على زمان الأحداث مما لا يدع شك في نفس المتلقي أنما يقرأه ليس مجرد وحي من الخيال.

فالرواية تصرح بالزمن وتحدده بدقة، فمنذ البداية نعرف الزمن وهو زمن حرب :

- "تعرفت إلى نادية في كانون الثاني عام ١٩٩١حين كانت سماء بغداد تحترق بالطائرات والصواريخ"٣٧.
- " قبل أن تبدأ الحرب بثمانية أيام، كان ذلك أيضا في كانون الثاني ١٩٩١"٣٨.

وتركز الرواية كثيرا على ذكر الشهور والساعات والدقائق وتحدد الزمان إن كان ليلا أو نهارا صيفاً أو شتاء كما في العبارات التالية:

- "وكان ذلك في شهر شباط".
- "كان العقرب القصير عند الرقم (١) والعقرب الطويل عند الرقم (٩)"
- "بقي عقرب الساعة الصغير متوقفا عند الرقم (١) والكبير عند الرقم (١٢). "
- "في أواخر شهر حزيران" .
- "طرقت نادية باب بيتنا في صباح اليوم التالي" .
- "كنا في شهر تشرين الأول ، في السنة الأولى من الثانوية" .
- "أعلنت ساعة بغداد الثالثة ظهرا".
- "سبع وعشرون سنة يا برياد وأنا معلق بجذع الشجرة التي تتخلى عني هذه الأيام."
- "في احد أيام شهر تموز من العام الأول للاحتلال"وفي بعض الأحيان لا يذكر الزمن محدد وإنّما تشير إليه الأحداث، فمثلًا لم تحدد الرواية زمن الحرب الأخيرة ولكن نعرف أنّها كانت عام ٢٠٠٣من خلال عدة إشارات، فإذا أردنا أن نجمع الزمن كما جاء في الرواية، نعلم أن البطلة في عام ١٩٩٤كانت في الصف الرابع الابتدائي أي أن عمرها عشر سنوات إذن ستدخل الجامعة في عام ٢٠٠٢ والحرب كانت بعد أن بدأت الساردة حياتها الجامعية. وكذلك نستدل على زمن الحرب من خلال الإشارات الأخرى، إذ تعلن الرواية أن الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش هو من قاد

الحرب ":ماذا كان يريد بوش الأب من حياتي؟وما الذي يطلبه بوش الابن منها؟"٣٩وكذلك تأكيدها على وجود الأمريكان داخل بغداد وهو ما حدث في حرب ٢٠٠٣.

- "في اليوم الذي غازلني فيه جندي أمريكي"
- "اعتقل الأمريكان والد نادية"
- "جاء الأمريكان عند حلول المساء فضلا عن تسلسل الأحداث وذكرها لاسم المعركة " عام الحسم". كلها إشارات لوقت الحرب، ثم تحدد في نهاية الرواية تاريخًا دقيقا دون إشارة إلى ما يدل عليه :"وصارت كل واحدة من هذه الساعات الأربع في واجهاتها ، تشير إلى وقت مختلف، فمثلا يمكنك أن تقولي: إنها الساعة السابعة صباحاً بحسب توقيت بغداد المحلي، في حين أن شخصا ما يقف من الجهة الثانية المقابلة ويقول: أنها الخامسة عصرا بتوقيت بغداد المحلي ،في الجهة الثالثة في إمكان شخص ما مر مصادفة في هذه المدينة أن يقول : نحن الآن في الساعة الثانية ظهرا من يوم الأربعاء الموافق ٩ نيسان عام ٢٠٠٣" فهي تعلن هنا تاريخ سقوط بغداد بدقة دون تصريح وتكمل " في حين أن شخصا آخر يقف في الجهة المقابلة له وليس بعيدا منه يقول من دون أن يرتكب خطأ ما : ان الوقت الآن هو الساعة الرابعة من فجر يوم الاحد الموافق العاشر من شهر شباط عام ١٢٥٨."٤٠ لتشير إلى سقوط بغداد على يد المغول وكأن الكاتبة تريد أن تقول إن الحروب توقف الزمن في المدن المحتلة.

وقد يتداخل الزمن في عوالم الخيال فلا يمكن تحديده بدقة وهذا بالضبط ما يحتاجه الخيال ففي العالم الآخر نجد العبارات التالية:

- "مرت ساعات ، ربما ايام، وانا على هذه الحال"٤١.
- "جلست انتظر أكثر من ساعة ، أو أقل من يوم او أكثر ، لا أدري كم من الوقت انتظرته، لأنهم هنا بلا وقت ، بلا ساعة تشبه ساعة بغداد تعد عليهم الثواني "٤٢ وتعتمد الرواية أسلوب الاسترجاع كثيرًا فالرواية عبارة عن تذكر وسرد لأحداث سابقة فمن الطبيعي أن نرى هذا الأسلوب بين صفحات الرواية ومن ذلك:
- " ذات مساء، كنا نلعب ..."٤٣.
- "امس ، سمعت أمي بالمصادفة تتحدث الى أم نادية عن الحصار"٤٤ وغيرها كثير من العبارات التي جاءت على هذا الأسلوب إذ من الطبيعي أن ترد فهي متناسبة وأحداث الرواية إلّا أنّه من الغريب أن نرى الاستباق في روايتنا ولعل ما يدعو إلى ذلك هو الخيال داخل الرواية وتضافره مع توقعات بقدوم الحرب وقراءة المستقبل؛ ومنه:
- "بعد سنوات من الآن ، سنمر أنا ونادية بهذا المكان"
- "ستعيشون غرباء بدموع لا نهاية لها"٤٥.
- "الحرب قادمة ، لم يعد هناك مجال للشك في هذا"٤٦.
- "بعد أقل من عام من الآن ، ستتزوجين انت الأخرى من شاب غاية في اللطف"٤٧ .فالزمن في رواية ساعة بغداد يبرز بقوة وبكل تجلياته وأساليبه، فالرواية جمعت الماضي والحاضر والمستقبل، بصورة رائعة لا نشعر معها بالغرابة أو النفور.

الأحداث

تساهم عناصر الرواية (الشخصيات، الزمان، والمكان) بتشكيل الحدث داخل الرواية، فهو "الفعل أو الحادثة التي تشكلها حركة الشخصيات لتقدم في النهاية تجربة إنسانية ذات دلالة معينة ... فالكاتب ينقل إلينا الأحداث من خلال تطور شخصيات الرواية؛ فالشخصية هي التي تحدد للحدث الروائي مساره وتعكس كل ما يوحي به"٤٨.والحدث كذلك يرتبط " بمحورين أحدهما زمان حصول الفعل أو لنقل السقف الزماني للحدث والآخر الأرضية المكانية التي لا يمكن لحدث أن يتحقق إلا على مهادها. والعنصران كلاهما لا ينفصلان عن الحدث بأي شكل من الأشكال " ٤٩.

ولنقل إن كل ما يعاش في واقعنا يمكن أن يكون حدثا لرواية ما والأحداث في روايتنا من النوع المتسلسل زمنيا بصورة واضحة إلى نهايتها التي تمثل نهاية ذاكرة الكاتبة من خلال معاصرة الحاضر وبدء البحث عن المستقبل، فالرواية عبارة عن استرجاع لأحداث ماضية مختزنة في ذاكرة الكاتبة أو كما عبرت عنه الكاتبة بأنه سجل وأسمته (–ساعة بغداد – تاريخ المحلة)٥٠. والأحداث داخل الرواية من النوع النامي إذ تدور حول واقع معاش تتخلله مشاهد مفعمة بالخيال ماهي إلّا رموز اعتمدتها الكاتبة لتصل لغرضها ولتمنح الرواية بعدًا آخر يجعل المتلقي يغوص فيها ويفك شفرات خيالاتها . فالرواية تبدأ بجمل متداخلة تبدو غريبة نوعا ما " دخلت إلى حلمها بقرة، دخلت دراجة هوائية، دخل جسر، دخلت سيارة عسكرية، دخلت غيمة، دخل غراب، دخلت شجرة، دخل طفل، دخلت طائرة، دخل بيت مهجور، دخلت قطة، دخل خزان مياه، دخل شارع، دخلت زرافة، دخلت صورة فوتوغرافية، دخلت أغنية، دخلن ساعة جدارية، دخلت سفينة ...وهكذا راحت الاشياء تدخل تباعا وهي تستعد لتأليف

حلم جديد"٥١. هذه البداية تشير إلى ذاكرة الكاتبة ذاكرة تداخلت بها مجموعة من الأحداث التي سَتُرى في صفحات الرواية، وكل جملة مما ذكرتها تشير إلى شيء ما أو بالأحرى هي رمز لشيء قد حدث، فالكلمات" جسر، سيارة عسكرية، غيمة، شجرة، طائرة، بيت مهجور، صورة، أغنية، ساعة ،سفينة " ستتكرر داخل سطور الرواية فكأن الكاتبة أرادت أن تعطينا كلمات مفتاحية لروايتها منذ البداية وهذه الرموز متداخلة بين خيالات الطفولة وواقع الشباب الذي عاشته بطلت الرواية لتنهي جملتها بأنها "تستعد لتأليف حلم جديد" ويبدو أن هذه العبارة تعبر حدود الرواية ومدتها الزمنية. إذن هذه المقدمة تبدوا اختصارا للرواية ككل .تبدأ الأحداث بالنمو منذ الصفحات الأولى إذ يبرز الحدث الاول وهو الحرب من خلال عناصرها أو ما يرتبط بها كالملجأ وصفارات الانذار والقصف والانفجارات:٥٢.

- "جئنا مع اهلنا من البيت إلى الملجأ"
- "دوت صافرات الانذار"
- "سمعنا أصوات القصف الشديدة التي أعقبت صفارة الإنذار، انفجارات عنيفة تقترب منا شيئا فشيئا ثم تعود لتبدأ" إذن هذا هو الحدث الأساس ويرتبط به مجموعة من الأحداث كالتعرف على صديقة العمر (نادية) والتي سارت الأحداث متماشية مع وجودها دائما، وكذلك التعرف على المحلة وساكنيها.ليتطور الحدث سريعا فتعلن عن وقف الحرب "عندما انتهت الحرب، لم نعد نذهب الى الملجأ في كل مساء"٥٣ وربما لأن الرواية تعتمد الذاكرة الواقعية نوعا ما فقد تتداخل الأحداث أو تتباعد في بعض الأحيان ، فبعد إعلان الكاتبة وقف الحرب اخذت الأحداث تسير ممثلة للحياة اليومية وأيام الدراسة ولم تعلن عن الحصار –الذي أعلن واقعيا بعد الحرب مباشرة –إلّا بعد سنوات عديدة وفق أحداث الرواية " أمس ، سمعت أمي بالمصادفة تتحدث الى أم نادية عن الحصار ...لقد سمعت كثيرا هذه الأيام كلمة الحصار وكرهتها" ٥٤ وربما لم تشأ الكاتبة أن تعلن مباشرة عن الحصار كونها هنا مثلت مرحلة الطفولة التي لا تهتم كثيرا لما يدور حولها، فضلا عن أن الحصار ما زال في بدايته قبل أن يصل إلى ما وضحته الرواية في أحداثها التالية ونفهم من أحداث الرواية مدى معاناة الناس من الحصار وخوفهم من المستقبل المتوقع لديهم اساسًا، فصورت لنا الكاتبة بعض الحوادث التي وقعت بسبب هذا الحصار " شاهدت بنفسي امرأة تنتحر وهي ترمي نفسها في نهر دجلة من على الجسر ، ... ويقول الناس الذين تجمعوا قريبا من مكان الحادث أنها وأطفالها لم يذوقوا الطعام منذ ثلاثة أيام وان زوجها مسجون لأنه صار لصا " مع كل هذا فالرواية تخلق أحداثا داخل الحدث الرئيس كقصة حب نادية وأحمد وقصة فاروق مع الساردة وكذلك قصة عمو شوكت وكيف تخلت عنه زوجته ،وقصة ميادة التي قتلت بسبب حبها، ومنال ومخاوفها وزواجها وغيرها من الأحداث الثانوية التي تملأ فجوات الرواية وتمنحها روحا وحيوية وتساهم في تطور الحدث الرئيس وهو الحرب وما تجره معها ثم يتطور الحدث ليصل لنهاية الحصار تلك النهاية التي كانت حربا أكثر دمارا من الحرب السابقة، فتبدأ الاستعدادات للحرب "هذه السنة هي سنة الأناشيد الحماسية الجديدة أو (عام الحسم) كما يسمونه، بدأت أجواء الحرب تفرض نفسها من جديد على حياتنا، هذه الحرب ليست كالحرب السابقة، لأنها حرب تحمل الموت والخراب وبعض الامل أيضا، الامل بنهاية الحصار الذي هو أكثر قسوة من الحرب نفسها، هو الموت البطيء الذي نعيشه دقيقة دقيقة "٥٥، فالرواية تنقل مدى الإحباط المسيطر عليهم "في التلفزيون طائرات عدوة على متن بوارج حربية عملاقة وجنود من كل دول العالم في طريقهم إلينا ونحن نستقبلهم بالأناشيد الحماسية وباليأس والانتحار من على الجسر إلى المياه الباردة"٥٦ شيئا فشيئا تعود الرواية إلى الكلمات التي اعتمدتها في بدايتها فالرواية بدأت بحرب وانتهت بحروب "... لكنني لا أحب الحياة في الملجأ مرة أخرى، لا أحب أن أرى البنايات يتهدم بعضها فوق بعض، لا أريد للجسور أن تسقط قتيلة في الماء، لا أريد ان يهتز بيتنا من وقع اصطدام الصواريخ بالأرض، لا أريد أن أموت، ولا أريد أن يموت غيري"٥٧ وبسبب ما عانى الشعب من الحروب والحصار تحاول الرواية أن تصور المأساة بأسلوب يدل على اللامبالاة وكأنهم اعتادوا هذه الأوضاع "تعالي أيتها الحرب الصديقة ... تعالي وتخلصي منا مثل نفايات بشرية لا حاجة لهذا العالم بها، نحن أيضا لم نعد في حاجة إلى هذا العالم"٥٨ وداخل هذه الأحداث تنتقل الرواية لتصور عالم الأموات وما فيه وكيف أن الكل ينتظر دوره "أنتِ في مكان ما بين الحياة والموت، نحن هنا ندقق الأسماء جيدا ونتأكد من الموتى قبل موتهم"٥٩، وقد وفقت الكاتبة في تصوير هذا العالم لما له من مناسبة قوية مع أوضاع الحرب والقتل. بل تبدع الكاتبة في ربطها هذا من خلال صورة يظهر فيها انشغال الموتى بالأوضاع الجارية:" حفيدتي العزيزة، نحن عالم الموتى لم نمت جيدا، لأننا نتألم لبلادنا، لأننا نشعر بالخذلان، بالخجل منكم حين تركناكم تتعذبون على ظهر سفينة اخترناها لكم من دون إرادتكم"٦٠ ثم " سقطت بغداد" كما أعلنت الرواية لينتهي الحدث الرئيس وتبدأ أحداث جديدة ناتجة عنه ؛ أحداث لم يكن لها وجود قبل سقوط بغداد ،ومنها القتل على الهوية وتبعا للاسم " انتقلت عدوى تعددية الأسماء إلى الناس أنفسهم .لم يعد الاسم يعني الشخص نفسه ، صارت هويته الطائفية .عدد كبير من الشباب عاشوا أياما صعبة بأكثر من اسم ولقب وعنوان، عندما تتخلى عن اسمك كيف ستعرف الآخرين ؟"٦١. ومن الأحداث الناتجة عن الحرب ، رمي رسائل التهديد:"

لقد حَسبَتْها واحدة من تلك الرسائل التي تتوعد الناس وتهددهم بترك بيوتهم"٦٢، وغيرها من الأحداث التي شهدتها البلاد ونتجت عن الحروب .ومن روائع النهايات أن الكاتبة أعطتنا ملخصًا لجميع أحداث روايتها بقولها :" أنا ونادية ولدنا في حرب السنوات الثماني ، تعارفنا في عاصفة الصحراء ،كبرنا في سنوات الحصار وحرب الخليج الثانية ،تناوب على طفولتنا بالصواريخ والأسلحة المحرمة جورج بوش ، وابنه جورج دبليو بوش، في حين أن بيل كلينتون والعجوز مادلين أولبرايت تكفلا بتجويعنا، وعندما كبرنا كان الجحيم يجلس في انتظارنا"٦٣ هذا النص مع النص الأول من الرواية وما فيه من مجموعة من الكلمات المفتاحية منحت الرواية تماسكا نصيا واضحا ، لا يسمح للقارئ أن يتجاوز حدثا من الأحداث التي أرادتها وركزت عليها الكاتبة.**الحبكة** تلعب الحبكة في الرواية دوراً أساسياً، فهي المسؤولة عن سير الأحداث بصورة متسلسلة ومرتبة، تُظهر قدرة الكاتب التنظيمية فمن خلال هذه القدرة تستوفي الرواية طاقتها على جذب المقابل أو العكس. فهي فن "ترتيب الأحداث للوصول إلى تأثير مقصود والحبكة هي سلسلة من الأفعال التي تُصمّم بعناية وتتشابك صلاتها وتتقدم عبر صراع قوي بين الأضداد إلى ذروة وانفراج"٦٤. وهي في الرواية تمثل "بنية النص أي النظام الذي يجعل من الرواية بناء متكاملا، فتسلسل الأحداث البسيط لا يصنع رواية، بل يصنعها ترتيب الوقائع واستخلاص النتائج، فالحبكة حركة حيوية تحول مجموعة من الأحداث المتفرقة إلى حكاية واحدة متكاملة ضمن إطار حدث رئيسي "٦٥ تقوم الحبكة في رواية ساعة بغداد على أحداث مترابطة، فهي من النوع المحكم، ونعني بها أن ذروة الرواية تكون في علاقة الحدث بالشخصيات، بطريقة تجعل جميع عناصر الرواية تسير نحو العقدة وفي الوقت نفسه تمنح القارئ بعض الإشارات التي تمكنه من التحليل والتوقع وصولا إلى الحل . والحبكة الرئيسية في الرواية هي الحرب المتوقعة المنتظرة فأحداث الرواية وشخصياتها تسير بنظام وترتيب يخدم هذه الحبكة، فعبارات الرواية متسلسلة بطريقة توحي بقرب هذه الحرب وأنها قادمة لا محالة:

- " كنا نخاف من الحرب وقرر أبي أن نذهب عندها لنحتمي من الصواريخ"٦٦.
- "ليس بيت أم نزار وحده من هاجر من المحلة، بيت أم علي وبيت أم سالي هاجرا أيضا، ثم تبعهم بيت أم ريتا، أصبح مشهد الدموع والتوديع عاديا، في كل مرة، نقف نودع صديقة تسافر مع أهلها من دون أمل في أن نراها ثانية"٦٧.
- " المحيط الذي تمضون فوقه يبدو لكم هادئًا، أليس كذلك؟ كلا يا سادتي... والله ليس هادئًا أبدا، إن الإعصار يلوح في الأفق، والعواصف قادمة لا محالة، من يريد أن يجرب الغرق فليبقَ ، ومن يريد السلامة فيهرب اليوم قبل الغد، اقفزوا إلى قوارب النجاة التي تنتظركم واذهبوا بعيدًا من هذا المكان"٦٨.
- " كثرت هذه الأيام المسيرات الاحتجاجية والتظاهرات، بين مدة وأخرى، تدخل المعاونة الصفوف وتطلب منا الخروج إلى الساحة، ثم يجري تنظيمنا لنخرج مع المدارس الأخرى إلى الشوارع الرئيسية في طوابير غاضبة نحمل فيها اللافتات التي تندد بالأمم المتحدة، والمجتمع الدولي، ومجلس الأمن، وأمريكا وإسرائيل وبريطانيا وحتى فرنسا"٦٩.
- "هذه السنة هي سنة الأناشيد الحماسية الجديدة أو (عام الحسم) كما يسمونه، بدأت أجواء الحرب تفرض نفسها من جديد على حياتنا، هذه الحرب ليست كالحرب السابقة، لأنها حرب تحمل الموت والخراب وبعض الامل أيضا، الامل بنهاية الحصار الذي هو أكثر قسوة من الحرب نفسها هو الموت البطيء الذي نعيشه دقيقة دقيقة "٧٠.
- " الحرب قادمة، لم يعد هناك مجال للشك في هذا، نحن نعرفها جيدا ونتنفس رائحتها في الهواء، ها هو مغناطيسها يحرك الأشياء عن أماكنها من دون أن يلامسها، نحن نتحرك كالدبابيس الناعمة تحت تأثير شحناتها السالبة"٧١. وغيرها كثير من النماذج التي تبين كيف أن الرواية تسير بنظام متسلسل مترابط يخدم الحبكة الرئيسية فيها يضاف إلى ذلك ما تحويه الرواية من حبكات أخرى تدخل ضمن الحبكة المفككة والتي تعني مجموعة من الأحداث لا ترتبط بحدث الحبكة الرئيسة إلّا برابط كونها تجري في الزمان والمكان نفسه. ومنها قصة حب الساردة وفاروق وحب نادية وأحمد، وعمو شوكت وزوجته، وقصة منال وقصة ميادة، وقصة شروق وغيرها من الحبكات المفككة داخل الرواية.

العقدة :العقدة "هي اللحظة التي تصل فيها الحبكة إلى أقصى درجات التكيف والانفعال والتأزم، وهي نقطة تحول هامة في القصة، حيث تبدأ الأحداث بعدها في الهبوط ويتطلع القارئ إثرها في البحث عن الحل"٧٢. وأحداث الرواية سارت منذ البداية لتصل إلى ذروة الحبكة الرئيسة وهي الحرب المرتقبة وهيأت لها بإشارات بعضها جرت على أرض الواقع وأخرى اعتمدت الخيال إلى أن وصلت إلى نهاية التوقع "سقطت بغداد" هنا نقطة التحول للوصول إلى نهاية الرواية إذا تبدأ الرواية بربط الأحداث التالية بهذه النقطة وتبدأ الأمور بالانكشاف شيئاً فشيئا وصولا إلى نهايات بعضها مغلق وأخرى مفتوحة.ومما يمكن الإشارة إليه أن كل قصة من قصص الحبكة المفككة– التي ذكرت سابقا– لها عقدة تصل إليها ثم تبدأ الأحداث بالهبوط وصولا إلى الحل.

النهاية أما نهاية روايتنا فتجمع بين النوعين المغلق والمفتوح فالنهاية المغلقة ترتبط بشخصيات الرواية إذ بينت الرواية في نهايتها ما حدث لكل شخصية من شخصياتها، فلم تسمح للقارئ بتوقع نهايات الشخصيات وانما اعتمدت هنا على النهاية المغلقة، فنعرف بدقة ما حلّ بكل شخصية : زواجها، أسماء أبنائها، مكان سكناها...وغيرها في حين ترتبط النهاية المفتوحة بالحدث الرئيس في الرواية وهو الحرب فلم تعلن الرواية ما حدث بعدها، بل يمكن أن نفهم من خلال نهاية الرواية أن لهذه الحرب تبعات امتدت بعدها بسنين " على جانبي ساعة بغداد ، تجددت المعارك التاريخية نفسها ومات فيها بشر كثيرون، ظهر (خليفة الموت) على ظهر دابة حديدية في قافلة دواب تمتد من رقة الشام حتى آثار النمرود"٧٣ وكذلك تترك للقارئ تحديد واختيار التاريخ الأنسب له :"وصارت كل واحدة من هذه الساعات الأربع في واجهاتها ، تشير إلى وقت مختلف، فمثلا يمكنك أن تقولي: إنها الساعة السابعة صباحاً بحسب توقيت بغداد المحلي، في حين أن شخصا ما يقف من الجهة الثانية المقابلة ويقول: أنها الخامسة عصرا بتوقيت بغداد المحلي ،في الجهة الثالثة في إمكان شخص ما مر مصادفة في هذه المدينة أن يقول : نحن الآن في الساعة الثانية ظهرا من يوم الأربعاء الموافق ٩ نيسان عام ٢٠٠٣ في حين أن شخصا آخر يقف في الجهة المقابلة له وليس بعيدا منه يقول من دون أن يرتكب خطأ ما : إن الوقت الآن هو الساعة الرابعة من فجر يوم الأحد الموافق العاشر من شهر شباط عام ١٢٥٨"٧٤. إذ يبدو أن الكاتبة تتوقع أن هناك تبعات عديدة للحرب، الأمر الذي يجبر على إعادة التاريخ إلى الذاكرة هروبا من واقع ما أو نقمة على حوادث الماضي، فنهاية الحدث الرئيس وما يرتبط به مباشرة قد تركت مفتوحة لكافة التوقعات، أو لأن الحدث واقعيًا لم ينتهي وإن الواقع ما زال مجهولًا.

اللغة والأسلوب تمتاز الرواية باللغة الفصيحة السلسلة والتي يتخللها في بعض الأحيان كلمات عامية، فالكاتبة أرادت لروايتها ان تكون واقعية تمثل الواقع بطبيعته فجاءت اللغة على طبيعتها بلا تكلف، فنرى في حوار الطفولة لغة الطفولة العامية:

- يامكروهة ليش تبوگين احلامي.

–لأن أني ما اعرف احلم.وهذه اللهجة العامية تظهر في المشاهد البسيطة والتي يكون الحوار فيها بين الصديقات وبين الأحبة، اما المشاهد البعيدة أو المتخيلة من الرواية فيكون الحوار داخلها باللغة الفصحى كحال الحوار مع قبطان السفينة والمشعوذ وكذلك في عالم الاموات كحوار البطلة مع جدها وغيرهاواللغة العامية تظهر كذلك في الاقتباسات التي اعتمدتها الكاتبة من الاغاني العراقية والأمثال نحو:

- "راح نغرك؟!! أكثر من هذا الغرق وين أكو، المبلل ميخاف من المطر"٧٥.
- " حايرة والشوك بين عيونك ... والسهر ذبل سواد عيونك

خلينا نندل الطريق النمشيه ... أوله واضح خلي نعرف تاليه"٧٦.

- " قصرت وياك يوم كلي لو زليت مرة شمعة إلك ضويت دوم عمري ضاع أيام مرة"٧٧ وتحاول الكاتبة أن تعطي لكل مكان ولكل مدة زمنية كلماتها الخاصة لتضفي على روايتها طابع الواقعية في كل جوانبها، فمثلا عند دخولها للجامعة وقت الحصار نراها تتفاجأ بكلمات " قفاص ،نگري ،حاتة تملخ، باي ،اصيلة، طگوگ" " مفردات قليلة بحروف مدببة ، تحشر نفسها في اللهجة ، وتحاول أن تخترق ذاكرتها ، لكنها من ناحية أخرى تتذر بخراب روحي عميق، اللهجة المحلية في طبيعتها تتطور تلقائيا ، وتستجيب لنموها الداخلي، أنها وبمرور الوقت ، تحور الواقع وتعيد صياغته"٧٨ وفي الحرب تظهر كلمات تدل عليها (القصف، الطائرات، الحروب، الموت، العبوات، الانفجارات، الدبابات) كلها وغيرها برزت في الرواية " لم تعد اللغة تتمتع بصحة جيدة: تحرير ،سقوط، احتلال، غزو ، اجتياح، حواسم. كيف يمكن أن يكون ليوم واحد كل هذه الاسماء؟"٧٩.

والكاتبة في روايتها تعتمد الأسلوب السردي الذي يتخلله بعض الحوار بين الشخصيات والذي بدوره يعتمد الجمل القصيرة غالبًا:

- "لأنك. ماذا؟! لأنني ميتة؟ كلا، انت بين بين. ما تقصد؟"٨٠ ومن أنواع الحوار التي ظهرت في الرواية:**الحوار الداخلي:** ويكون بين الشخص ونفسه ، ويظهر في حديث البطلة، نحو قولها:"أقول في نفسي: لماذا لا أحلم مثل نادية؟ ثم أفكر قليلا وأعود لأقول: ربما أنا أحلم أيضا لكنني لا أدري أنني أحلم، ربما أنا حلم طويل في رأس أحدهم نام ولم يستيقظ إنه يحلم حياتي كلها"٨١ .

والحوار الخارجي: ويكون بين شخصيتين داخل الرواية ، كالحوار بين شروق والمشعوذ:

- "لا توافقي، ارفضيه على الفور.وإذا عاد وتقدم لي ثانية؟!ارفضيه مرة أخرى.لكن ..."٨٢ وكحوار البطلة مع فاروق :
- "ستندلع الحرب ؟متى؟قريبا، كل شيء يقول إنها آتية تحمل معها الأخبار غير السعيدة.هل تخاف من الحرب؟"٨٣ **والحوار بالإشارة،** كحركة اليد أو الرأس او العين، ومنه :
- "قالت بيداء وهي تشير بإصبعها نحو بناية دائرية عالية"٨٤ .

- " رفع المشعوذ رأسه إلى الأمام وهو يمسك بباطن كف شروق... ضغط على كفها وهو يوزع في الوقت نفسه نظراته الحادة بين وجوه النساء الأخريات ويخفيهن، وضع يده اليمنى على جبينه"٨٥.
- " فتح الباب ومر طائر السنونو وهو يقود نادية من خلفه، ثم أومأ لها أن تجلس إلى جانبي"٨٦ وتُكْثر الراوية من اعتمادها على أسلوب الاستفهام سواء بالحوار أو السرد":هل كان فاروق يريد أن يقول لي كوني جميلة؟هل أنا لست جميلة من دون هذه الألوان؟" ٨٧. والرواية بطبيعتها تبتعد عن التكلف فتأتي الجمل والكلمات منسابة بيسر وسلالة، وحين تحاول إظهار جماليات اللغة تأتي بها كذلك بأسلوب سلس فمثلا في قولها: "راحة البيوت من راحة أهلها ، لم يكن بيتنا سعيدا هذه الأيام ، كان يتألم من الوحشة ، كان يتنفس الهواء الملوث ويختنق بالبكاء . هل رأيتم بيوتا تبكي؟ أنا سمعت كثيرا أنين جدران بيتنا، ورأيت بعيني دموعها وبكيت معها"٨٨، نرى مجموعة من الاستعارات التي لا تشعرك بغرابتها ولا تجذبك للتمعن فيها كي تقف على أبعادها وانما تقرأها وتفهم معناها بكل سلاسة، فالصور البلاغية داخل الرواية جاءت متلائمة وأسلوب الرواية ككل.

الخاتمة

في نهاية البحث، أود بيان ما توصلت إليه :

- الفكرة من الرواية مترسخة في ذهن الكاتبة وناضجة بشكل واضح، لذلك تمكنت الكاتبة من الجمع بين الواقع والخيال مما منح الرواية أبعادا جمالية لا تبدو متكلفة بالنسبة للقارئ.
- التلاعب بالزمن وتطويعه بصورة تخدم أحداث الرواية، اذ تجمع الكاتبة بين أزمنة متنوعة بأسلوب متمكن لا يشعرنا بطفرات أو نشوز ما.
- التأكيد على أحداث وشخصيات وأزمنة وأمكنة وجدت في هذه البقعة من الأرض، أعطى للرواية تماسكا نصيا، وانسجاما بين الواقع المعاش والماضي وعالم الخيالات، فخرجت الرواية قادرة على أن تجعل المتلقي يعيش بين صفحاتها دون شعور بالغربة.
- أسلوب الكاتبة يعتمد السلاسة والسهولة ويميل إلى الضعف أحيانا ويبدو أن الكاتبة اعتمدت هذا الأسلوب وركزت على لغة سهلة ؛كل ذلك ليتناسب والوضع السائد داخل المجتمع. فالرواية تميل الى الوضوح البعيد عن التعقيد والتكلف.
- وختاما أقول إن الكاتبة متمكنة من فكرتها ومن أدواتها الروائية، بصورة تتلاءم وموضوع الرواية عامة.

الهوامش:

١–في نظرية العنوان.. مفتاح النص وجوهره...من الشعر إلى القصة والخطاب الدرامي عالم من الإبداع ومستويات العنونة، صحيفة الوطن، الأحد ٢٠١٣/٣١/٠٣.

٢–ينظر :تقنيات السرد في عالم "نجم والي" الروائي، احمد عبد الرزاق ناصر، إشراف: د. يوسف اسكندر رسالة ماجستير جامعة بغداد، ٢٠١٠م: ١٢٢

٣–الشخصة القصصية بين الماهية وتقنيات الابداع ،صلاح احمد الدوش،اما راباك مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا ،المجلد ٧، العدد :٢٢ ٢٠١٦، ص:١٢٦.

٤ –الرواية:١٧٣.

٥–الرواية:٢٦.

٦–الرواية:٢٨.

٧ –الرواية:١٠٩.

٨ –الرواية:٢٤٩.

٩ –الرواية:٥٧.

١٠ –الرواية:٢٥٧.

١١ –الرواية:١٢٦.

١٢ –الرواية:١٢٦.

١٣ –الرواية:١٢٧.

١٤ –الرواية:٢٨.

١٥ –الرواية:٣٣.

١٦ –الرواية ٣٨.

١٧ –الرواية:٩٤.

١٨– الرواية:٢٢٤.

١٩ –الرواية :٩٠.

٢٠ –الرواية:٧١.

٢١ –الرواية: ١٠١.

٢٢ –الرواية:١٠٧.

٢٣–الرواية:١٦٥.

٢٤ –الرواية:١١٢.

٢٥ –الرواية:١٥١.

٢٦ –الرواية:١٥٢.

٢٧–الرواية: ٣٥.

٢٨ –الرواية: ١٩٠.

٢٩–الرواية:١٦٨.

٣٠–(جماليات المكان في الخطاب الروائي) غسان كنفاني،صبيحة عودة زغرب، ط١، عمان، دار مجدالوي، ٢٠٠٦م:٩٥.

٣١ –الرواية: ٢٤.

٣٢ –الرواية: ٤٠.

٣٣ –الرواية: ١٦٤.

٣٤ –الرواية:١٢٧.

٣٥ –الرواية:١٢٨.

٣٦ –الرواية :١٦٨ وما بعدها.

٣٧–الرواية: ١٥.

٣٨ –الرواية: ٢٣.

٣٩ –الرواية : ١٨٩.

٤٠ –الرواية: ٢٦٥.

٤١ –الرواية:١٦٨.

٤٢ –الرواية: ١٧٤.

٤٢ –الرواية: ٤٥.

٤٣ –الرواية: ٤٨.

٤٤ –الرواية:٣٠.

٤٥ –الرواية: ٧٦.

٤٦ –الرواية: ١٦٣.

٤٧ –الرواية: ٢٦٠.

٤٨ –التشكيل الروائي عند نجيب محفوظ دراسة في تجليات الموروث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٠ م : ٦٩.

٤٩ –بناء الحدث في الفن القصصي – رواية تنظيرية – ، د . صبري مسلم ، مجلة اليرموك ، الأردن ، العدد :٦٠، ١٩٩٨ : ٤٢.

٥٠–الرواية : ٢٠٤.

٥١ –الرواية:٧.

٥٢ –الرواية : ١٣.

٥٣ –الرواية:١٨.

٥٤ –الرواية:٤٨.

٥٥ –الرواية: ١٣٩

٥٦–الرواية:١٤١.

٥٧ –الرواية ١٤٢.

٥٨ –الرواية:١٦٣.

٥٩ –الرواية:١٧٢.

٦٠ –الرواية: ١٧٦.

٦١ –الرواية:١٩٣.

٦٢ –الرواية ١٩٣.

٦٣ –الرواية:٢٣٢.

٦٤–معجم المصطلحات الأدبية , إبراهيم فتحي , المؤسسة العربية للناشرين المتحررين , صفاقس , د . ط :١٩٨٦ :٥٣.

٦٥–معجم مصطلحات نقد الرواية , عربي – انكليزي – فرنسي , لطيف زينوني , مكتبة لبنان ناشرون , بيروت , ط١، ٢٠٠٢: ٧٢.

٦٦– الرواية ٢٣.

٦٧– الرواية :٤٩.

٦٨– الرواية :٧٥.

٦٩– الرواية: ٩٢.

٧٠– الرواية: ١٣٩.

٧١– الرواية :١٦٣.

٧٢ –دراسات في الأدب الفلسطيني، د. عاطف أبو حمادة ورفاقه، ط ١، ٢٠٠٣، عمان،ص: ٢٩١.

٧٣ –الرواية: ٢٦٧.

٧٤ –الرواية:٢٦٥.

٧٥– الرواية :٨٥.

٧٦– الرواية :٥٧.

٧٧– الرواية: ١٨٢.

٧٨ –الرواية ١٥٨.

٧٩ –الرواية ١٩٢.

٨٠– الرواية :١٧٢.

٨١– الرواية : ٣٦.

٨٢– الرواية: ٧٨.

٨٣ – الرواية:١٧٩.

٨٤– الرواية: ١٩.

٨٥– الرواية:٧٣.

٨٦– الرواية: ١٦٩.

٨٧ –الرواية ١٦١.

٨٨–الرواية ١٩١.